وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية
شعبة علم الإجتماع

محاضرات لطلبة السنة الأولى – ليسانس
ميدان العلوم الإجتماعية

مقياس : مدخل إلى الديموغرافيا

الدرس 3

الأستاذ : عمران

السنة الجامعية: 2019– 2020

الدرس الثالث: نظرية التحول الديموغرافي

-التحول الديموغرافي

-العوامل المفسرة لعملية الإنتقال الديموغرافي

-أسباب إنخفاض الوفيات

-أسباب إنخفاض الولادات

نظرية التحول الديموغرافي

التحول الديموغرافي

إن نظرية التحول أو الإنتقال الديموغرافي تعتبر من أهم النظريات المتداولة في علم السكان فهي ترتكز على إحدى أهم الظواهر الديموغرافية (الولادات والوفيات).
الهدف من هذه المحاضرة هو تقوية قدرة الطلبة على التحليل الديموغرافي بمقاربة زمنية مع التركيز على الإختلاف من بلد لأخر.
من خلال هذه المحاضرة نتطرق إلى:

_ مفهوم الإنتقال الديموغرافي،
_ مراحل الإنتقال الديموغرافي،
_ العوامل المؤثرة في عملية الإنتقال الديموغرافي.

إن أول من وصف ظاهرة التحول الديموغرافي هو الفرنسي Adolphe Landry سنة 1934 وأسماها بالثورة الديموغرافية، وقد تأثر به الباحث في الديموغرافيا Alfred Sauvy وهو أول من إستعمل تعبير "العالم الثالث". أما مفهوم التحول الديموغرافي برز لأول مرة عند الكتاب الأمريكيين سنة 1945 وتزامن هذا مع إنتهاء الحرب العالمية الثانية حيث شهدت العلوم الإجتماعية تطورا كبيرا ولاسيما من خلال الإستفادة على المستوى المنهجي من العلوم التجريبية وكذلك تطور الرياضيات والإحصاء.

أن التحول أو الإنتقال الديموغرافي عبارة عن عملية من خلالها يمر مجتمع ما من مرحلة تكون فيها نسبة الولادات والوفيات مرتفعة وينتقل المجتمع إلى مرحلة تكون فيها الولادات والوفيات منخفضة ومتوازنة نوعا ما.

من أهم الإشكاليات التي طرحت في سنوات الستينات كانت معرفة ما إذا البلدان السائرة في طريق النمو سوف تعرف هذا الإنتقال الديموغرافي. وقد تأكد هذا الأمر في الوقت الحالي .وبالرجوع للنظريات السابقة فهذا يؤدي بنا إلى مراجعة التنبؤات التي جاءت بها الأفكار

المالتوسية والمالتوسية الجديدة وكذلك السيناريوهات التشاؤمية التي توقعت وقوع الكارثة الديموغرافية [1]، إن البلدان النامية أو التي سماها Alfred Sauvy بدول العالم الثالث سوف تعرف تغيرا في بنيتها الديموغرافية ولعل الكثير منها قد دخل في مراحل الإنتقال الديموغرافي سواء في المرحلة الثانية أو الثالثة، فهذه البلدان تسير تدريجيا في إتجاه الأنظمة الديموغرافية التي تعرفها الأن البلدان المتقدمة، فنجد الأن في كثير من البلدان النامية تحولات ديموغرافية كبيرة تتميز بإنخفاض كبير في الوفيات و إنخفاض كبير في معدلات الخصوبة والتي تقترب من مستوى تجديد الأجيال بمعنى الإقتراب ن مؤشر الخصوبة الذي يقدر ب1،2 طفل لكل إمرأة.

مخطط: مراحل التحول الديموغرافي

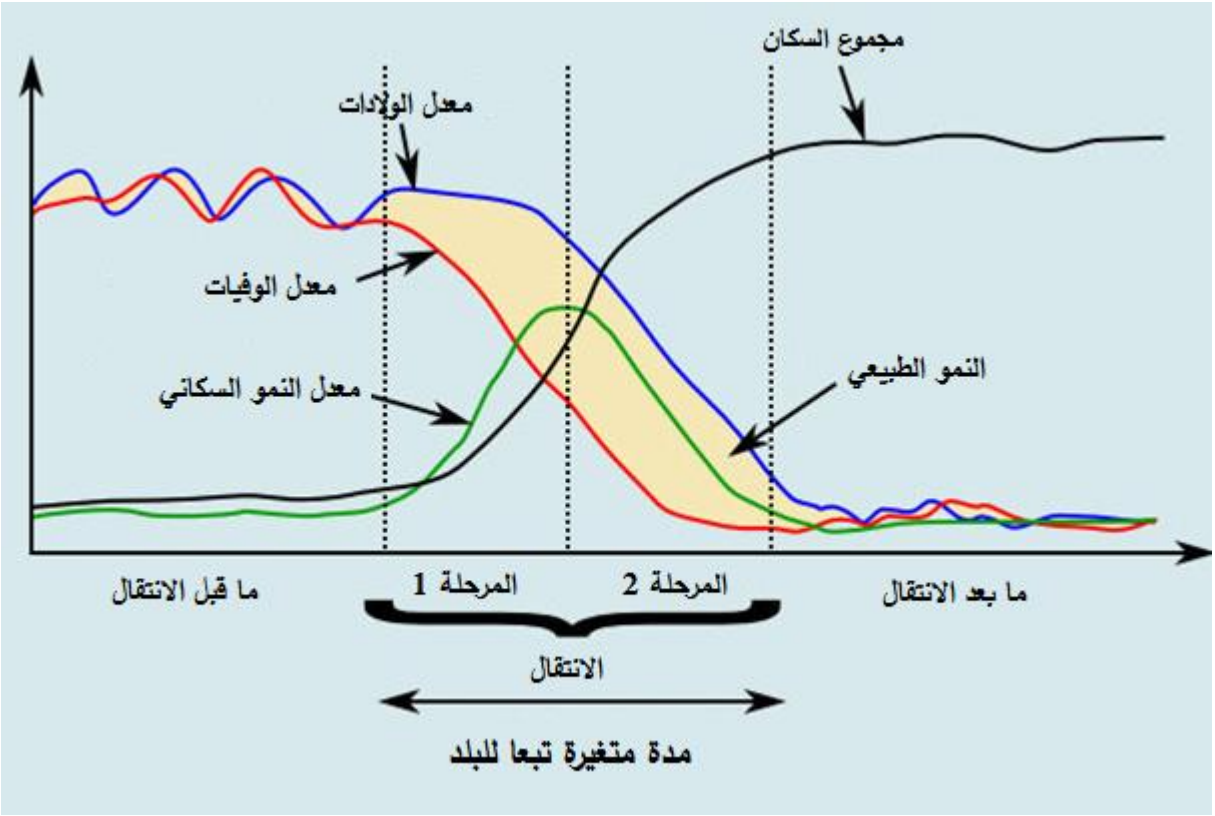

يوجد في عملية التحول الديموغرافي عاملين مهمين:

-إنحفاض في الوفيات

[1] Bombe "D" (D =القنبلة الديموغرافية)

إنخفاض الخصوبة

عادة ما تقدم عملية التحول الديموغرافي في المراجع على شكل أربعة مراحل والتي تحتوي على مرحلتين يوجد فيهما التحولات الحقيقية التي تعطي هذه النظرية معناها، فالتحول الأول يمس الوفيات، ومن ثمة الخصوبة التي تنخفض بعد إنخفاض الوفيات، هاتين المرحلتين تسبقهما مرحلة وهي الوضعية القديمة وتليهما المرحلة الجديدة.

1 -المرحلة الأولى: تعرف بمرحلة النظام الديموغرافي التقليدي فيها نوع من التوازن القديم بين وفايات مرتفعة وخصوبة مرتفعة، ويمكن أن تكون معدلات الوفيات متغيرة مع إرتفاع للقمة نتيجة لحالات المجاعة، الحروب أو الأوبئة، يكون النمو السكاني في هذه المرحلة ضعيفا وقد يقترب من الصفر. ينسب هذا النظام الديموغرافي إلى غالبية المجتمعات في العالم في القرون التي سبقت الثورات الصناعية وقد دامت هذه المرحلة فترات زمنية طويلة تصل إلى ألاف السنين (Angus Maddison، 2001).

2 -المرحلة الثانية: تبدأ في هذه المرحلة نسبة الوفيات في الإنخفاض وهنا تبدأ عملية الإنتقال الديموغرافي. يرتفع عدد السكان بنسبة كبيرة وذلك لأن في هذه المرحلة تبقى نسبة الولادات مرتفعة بل ويمكن أن ترتفع أكثر نتيجة تحسن الظروف الصحية للنساء. هذه الوضعية الديموغرافية تؤدي بالنمو الطبيعي للسكان إلى مستوى مرتفع وقد تفوق هذه النسبة 2% سنويا. إن بلدان إفريقيا جنوب الصحراء تعد من أخر المناطق في العالم التي توجد في هذه المرحلة، بينما هناك بعض الدول التي رجعت إلى المرحلة الأولى ما قبل التحول الديموغرافي بسبب الحروب الأهلية المتعددة في إفريقيا أو بسبب مرض السيدا أين بلغت نسبة انتشاره مستويات عالية في بعض البلدان الإفريقية.

3 -المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة تبدأ نسبة الولادات في الإنخفاض تدريجيا وبالتالي فإن النمو السكاني الطبيعي يبدأ في الإنخفاض مما يؤدي إلى التباطؤ التدريجي في النمو الديموغرافي وقد بلغت معظم بلدان أسيا وأمريكا اللاتينية منذ سنوات السبعينات.

4 -المرحلة الرابعة: بعد المرحلتين (الثانية والثالثة) اللتان تعرفان تحولات ديموغرافية حقيقية فإن المجتمع ينتقل إلى وضعية التوازن والتي تسمى بالعصرية والتي تكون فيها الولادات والوفيات منخفضة، وهي المرحلة التي تأتي بعد الإنتهاء من عملية الإنتقال الديموغرافي. يمكن في هذه المرحلة أن تعرف نسبة الولادات تغيرات إرتفاعا وانخفاضا قبل أن تستقر، بينما تستقر نسبة الوفيات نظرا لتحسن الوضع الصحي وإختفاء الأوبئة والأمراض المعدية القاتلة. هنا يصبح النمو السكاني ضعيفا أو يؤول إلى الصفر (من دون حساب الهجرة التي عندما تكون في مستويات مرتفعة يمكنها أن تغير البنية السكانية ولاسيما في نسبة الولادات ومعدل النمو السكاني). هناك بعض الحالات التي تشكل إمتدادا لهذه الوضعية الديموغرافية العصرية مثل روسيا أين نسبة الوفيات تكون أعلى من نسبة الولادات، إضافة إلى الهجرة الخارجية والمشاكل الصحية مثل المخدرات والكحول المؤدية للوفاة، هذه العوامل تؤدي إلى تراجع في عدد السكان.

بالفعل هناك من الكتاب على غرار (Jean-Claude Chesnais) من يرى أن هناك إمتداد في المرحلة الرابعة والتي تعرف بوجود نوع من الإستقرار الديموغرافي من خلال ملاحظاتهم في عدة بلدان ويقترحون أن هناك عجزا دائما وذلك لسبب مستوى منخفض جدا في الخصوبة دون المستوى الذي يسمح بتعويض الأجيال. إن عملية التحول الديموغرافي تؤدي بعد فترة زمنية معينة لمجتمعات تكون فيها نسبة الشيخوخة مرتفعة مثلما تعرفه الدول الغربية حاليا.

العوامل المفسرة لعملية الإنتقال الديموغرافي

إن تفسير إنخفاض معدل الوفيات يرجع لأسباب مشتركة بين أغلب الدول وفي مختلف الفترات الزمنية .فالدول المتقدمة عرفت الإنخفاض في الوفيات منذ زمن بعيد والذي تزامن مع التطور الإقتصادي والإجتماعي الذي عرفته تلك الدول في القرنين الماضيين .إلا أن الحربين العالميتين اللتين عرفهما العالم في القرن العشرين أدت لكبح ذلك الإنخفاض بل إرتفعت نسبة الوفيات إلى مستويات قياسية (1914-1918) و (1939-1945) والتي كانت أوروبا مسرحا لها، ولكن تغير هذا الوضع في أوروبا بعد 1945 تغير الوضع

الديموغرافي فإرتفعت الولادات بسبب عملية تعويض السكان وإنخفضت الوفيات إنخفاضا كبيرا بسبب إنتهاء الحروب .

أسباب إنخفاض معدل الوفيات

كان إنخفاض معدل الوفيات في البلدان النامية كبيرا وذلك لعدة أسباب:

1 – من أهم العوامل التي أدت إلى إنخفاض معدل الوفيات في هذه الدول هي التخلص من الإستعمار الذي أدي بالكثير من البلدان مثل ما حدث في إفريقيا حيث إنتقلت الكثير من البلدان إلى الإستقلال والسلم كالجزائر.

2 – التحسن فيما يخص التغذية على المستوى الكمي والكيفي.

3 – التحسن فيما يخص النظافة على المستوى الشخصي والعام وخاصة نظافة المياه.

4 – التطور الطبي: توفر الأدوية والرعاية الطبية (تكوين الأطباء والممرضين) والتقدم فيما يخص الجراحة وتوفر التطعيم. في هذا المجال كان لانتقال الأدوية والخبرة الطبية والتكنولوجيا من البلدان المتقدمة إلى البلدان النامية دور أساسي في تطور الطب والرعاية الصحية.

أسباب إنخفاض معدل الولادات

إن لإنخفاض الولادات أسبابا بعضها مشتركة مع ظاهرة إنخفاض الوفيات ولكن يمكن الإشارة لبعض الأسباب العامة التي تؤدي إلى إنخفاض معدلات الولادات في مختلف البلدان

1 -إنخفاض وفيات الأطفال: إن إنخفاض الوفيات عند الأطفال له علاقة مباشرة بإنخفاض الولادات، فإنه من المعروف في مختلف المجتمعات أنه عندما تكون معدلات وفيات الأطفال مرتفعة، خاصة في الأسابيع الأولى بعد الولادة (وفيات الرضع) فإن العائلات تلجأ إلى تعويض الطفل المتوفي، فأحيانا يحمل الطفل المولود إسم الرضيع المتوفي، وبذلك تبقى معدلات الولادات مرتفعة. أما عندما تنخفض وفيات الأطفال بسبب تحسن الرعاية الصحية فإن معدلات الولادات تبدأ في الإنخفاض وذلك لأن العائلات تطمئن على صحة أطفالها مع بقائهم على قيد الحياة هذا ما يساعد في إنخفاض نسبة الولادات.

2 -التغير في الإقتصاد الريفي: إن التغير الذي طرأ على التقنيات الزراعية خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين أدت إلى إستخدام أكبر للتقنيات الزراعية الحديثة واستخدام أوسع للآلات الميكانيكية في الزراعة وهذا أدى إلى تراجع في الاعتماد الكلي على اليد العاملة والتي تكون الحاجة إليها أكبر عندما تكون المساحات الزراعية أوسع، وقد سمحت مكننة الفلاحة بتنمية المحصول الزراعي مع إستخدام يد عاملة أقل، من هنا تراجعت القيمة الإقتصادية للطفل الذي يكون عبئا في الصغر ويصبح عامل إنتاج عندما يكبر.

3 -التطور الحضاري: أثبتت الدراسات الإجتماعية والديموغرافية أن التطور الحضاري له تأثير فعلي على النظام الديموغرافي فغالبا ما يصحب هذا النمو إنخفاضا في معدل الولادات وذلك يرجع للنمط المعيشي في المدينة أين يكون الأطفال عبئا على عائلتهم حيث لا يكون لهم دور في عملية الإنتاج ولا يساهمون في رفع مدخول العائلة خاصة مع إرتفاع قيمة التعليم في المجتمع وتوفر المدارس في المدن. فالعائلات غالبا لا تتحمل التكفل المادي بعدد كبير من الأطفال لسنوات الدراسة الطويلة. فإن التمدن أدى إلى تغير في القيم العائلية وفي السلوكيات الديموغرافية.

4 -التخطيط العائلي: إن ظهور برامج التخطيط العائلي منذ سنوات الستينيات والتي تطورت في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، كانت لها مساهمة أساسية في إنخفاض الولادات ولاسيما في الدول النامية فقد كانت تلك البرامج تحمل خططا لتوعية العائلات والنساء في مسألة الصحة الإنجابية (صحة الأم والطفل، فوائد تباعد الولادات، أهمية المتابعة الطبية للحمل، الولادة في الوسط الطبي، لقاح الأطفال والمتابعة الطبية ...) بالإضافة إلى وفرة وسائل منع الحمل.

5 -تعليم المرأة: إن مسألة تعليم المرأة مرتبطة إرتباطا وثيقا بالسلوك الإنجابي. في جميع دول العالم تأكد أن المرأة المتعلمة في سن الإنجاب هي الأكثر إستجابة للتخطيط العائلي فكلما زاد المستوى التعليمي للمرأة كلما نقص لديها عدد الأطفال المنجبين. فتعليم المرأة

يسمح لها بأن تكون أكثر وعيا وفهما للقضايا الصحية المتعلقة بالصحة الإنجابية كما يكون للمرأة المتعلمة، خاصة ذات المستوى العالي ثقافة مختلفة ورؤيا مختلفة للعائلة ولعدد الأطفال حيث أنها تميل أكثر إلى البعد الكيفي للأطفال من البعد الكمي.

6 -عمل المرأة: إن لعمل المرأة، مثل قضية التعليم لها تأثير فعلي في الخصوبة وبالتالي في عدد الولادات في المجتمع ككل. يوجد في أدبيات الديموغرافيا الكثير من البحوث والدراسات التي تؤكد أن عمل المرأة هو من أهم العوامل التي تفسر إنخفاض نسبة الولادات. من الواضح أن عل المرأة خارج البيت عدد من الساعات يوميا لا يساعدها في التكفل بطريقة سهلة بأطفالها الصغار خاصة في السنوات الأولى من عمرهم وذلك لما تتطلبه الرعاية من وجود للأم بجانب أطفالها. ويكون هذا أكثر صعوبة عندما يزيد عدد الأطفال. هذا ما يدفع عدد كبير من الأمهات العاملات لإعتماد التنظيم العائلي ولاسيما إستخدام وسائل منع الحمل مما يؤدي لخفض الخصوبة.

7 -السياسات السكانية: إن السياسات السكانية في بعض البلدان قامت على مبدأ تحديد النسل فمثلا في الهند تبنت الحكومة خطط للتعقيم، أما في الصين فقد قامت الحكومة بتطبيق سياسة الطفل الواحد (يجب الإشارة هنا إلى أن الحكومة الصينية قامت مؤخرا بالتخلي عن هذه السياسة التي أدت إلى إختلال في البنية الديموغرافية للسكان ولاسيما فيما يخص مسألة التوازن بين الجنسين من جهة، ومن جهة أخرى خوف الحكومة الصينية من قضية زيادة نسبة الشيخوخة ونقص اليد العاملة في بعض المناطق في الصين والتي تعرف ديناميكيات إقتصادية تحتاج لجيوش من العمال).

بشكل عام، إن الإنتقال الديموغرافي والخروج من الدائرة المالتوسية يمكن تفسيرها بتسارع التنمية الإجتماعية والإقتصادية وكذلك بالتطور التكنولوجي، فهناك عدة تحولات متعلقة بالتنمية حدثت بعد التطور الصناعي في أوروبا وخاصة في القرن العشرين:

1 -إن التطور التكنولوجي أدى إلى تغير في فكرة الإعتماد على عدد اليد العاملة، وعلى المستوى العائلي على عدد الأطفال. فأصبح الإستثمار في رأس المال البشري يقوم على النوعية بدلا من الكمية، فأصبحت العائلات تستثمر في تعليم أطفالها وإعطائهم القدرات والظروف الملائمة للنجاح في الحياة المهنية.

2 -إن تطور التعليم والتكوين الذي إستهدف الموارد البشرية قد أدى إلى زيادة في الإنتاج والمردودية وتنمية التقدم التكنولوجي.

3 -إن تحسن ظروف العمل للآباء ولاسيما فيما يخص الرواتب سهل على العائلات تربية الأبناء وزيادة الميزانية المخصصة لتعليمهم ورعايتهم.

إن التحول، أو الإنتقال الديموغرافي هو في الأساس نموذج للتطور ونفهم من خلاله تطور المجتمعات على المستوى الديموغرافي والإجتماعي والاقتصادي. إن هذا الإنتقال لا يحدث في جميع البلدان في نفس الفترة، ولا بنفس الوتيرة، ولا بنفس الأسباب التي تختلف من منطقة لأخرى ومن بلد لأخر ومن فترة زمنية لأخرى. إن عملية الإنتقال الديموغرافي بدأت في أوروبا الشمالية في القرن الثامن عشر وقد دامت قرنين من الزمن، في تلك الفترة عرفت تلك المنطقة نموا سكانيا ضعيفا نوعا ما، حوالي 1،5% من النمو السكاني سنويا وهي الأن مكتملة في كل بلدان التعاون الإقتصادي (OCDE)[2].

فهذه البلدان تتميز اليوم بنمو سكاني ضعيف وبأجيال يتم تعويضها ديموغرافيا بشكل ضعيف فبعض البلدان لجأت إلى إستقدام المهاجرين من الخارج لزيادة عدد السكان وتوفير اليد العاملة كما هو الحال بالنسبة لأستراليا وكندا اللتان تعتمدان على سياسة سكانية ترتكز على حد كبير على جلب المهاجرين. وعلى العكس ففي كل البلدان السائرة في طريق النمو، فإن التحول الديموغرافي بدأ متأخرا وذلك في السنوات ما بين الأربعينيات والستينيات ولكن هذا التحول يحدث بوتيرة سريعة جدا، وقد بلغ النمو السكاني مستويات كبرى من 3 إلى 4

[2] Organisation de Coopération et de Développement Economiques

%سنويا وهذا ما أدى إلى معدلات كبيرة جدا في النمو السكاني. حاليا هناك بعض البلدان لا تزال تعرف نموا سكانيا كبيرا ولكن البعض الأخر أصبح يعرف نموا أقل سرعة، فأغلب تلك الدول لم تكمل بعد عملية الإنتقال الديموغرافي.